Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد كانت فكرة القومية العربية ـ التي رفعت لواءها آنذاك الثورة المصرية ـ تتبنى عدداً من المبادىء التي لم تكن غريبة على فكر السياب الحزبي في المرحلة الماضية ، أهمها وأكثرها وضوحاً مبدأ معاداة الاستعمار ، ونبذ الأحلاف الغربية ، كذلك دعوة مبهمة للعدالة الاجتماعية لم تتحدد معالمها ، بدأت بقوانين الإصلاح الزراعي التي نفذت بعد نجاح الثورة ، وإن لم تكن قد تطورت بعد إلى ما سمي بالاشتراكية : (العربية أو الإسلامية أو العلمية كما أطلق عليها) وهذا ما سهل على السياب الانتقال بين التيارين السياسيين ، وساعده على الاندماج بيسر في دعوة القومية التي كانت أيسر منالاً لفكرة المتبسط من المقولات الحزبية المعقدة ، والمسئولية الحزبية الثقيلة .

ومع ألم معارك القومية العربية ضد الاستعمار القديم عام ١٩٥٦ جاءت قصيدته بور سعيد[١] ومعها ظلال سيتول السابقة ، لم يدخل عليها تعديل في أسلوب الإفادة منها أو احتذائها فهو يرى في العدوان على بور سعيد تراكماً للعنف والظلام الذي مرّ على العالم ، معيداً تلميح سيتول إلى قضية التطور والارتقاء ، منذ كان العالم معموراً بالوحش ، حتى وحشية الحضارة الغربية الحديثة :

حُيِّيتِ من قلعةٍ صمّاءَ ناطحها ... عادٍ من الوحش يُزْجيهن قُطْعَانا
عانَاكِ في الليل داجٍ من جحافلها ... نوراً من الله أعماها ونيرانا
ما عاد ليلٌ قد استخفى بأقنعةٍ ... من أوجه الناس ـ لولا أنت عريانا
ليلٌ: تعيذُ الكهوف السود آنية ... فيها، وفكاً لموتاها ، وصوّانا
من بعض ما فيه من ظلماء ما عُرِفَتْ ... باسمٍ لها ، فهي قبلَ اسمٍ إذا كانا

ثم يعيد الفكرة ذاتها معكوسة ، فنصر بور سعيد الذي تمّ في عشرة أيام ، هو معجزة خلق العالم في ستة أيام ، حيث يعادل اليوم حقبة من الزمن أو دوراً في التطور ، حيث انتصرت المدينة العزلاء على جحافل الذهب ، جيوش طواغيت المادية الأوربية :

أنت السماوات والأرض التي خُلِقَت ... في عشرةٍ، تُحْسَبُ الأيام بالحقب
والصخر فيك استمد الروحَ إذ لمست ... عُقْمَ الجمادات فيه إصبعُ اللهب
والماء، حتى زلال الماء فيك مُدىً ... من فضةِ الله ، تُوهي جحفلَ الذهب

---

١ ـ ص ٤٩٢ من الأعمال الكاملة .